مستقبل المنظمات الخيرية

الآمـــال والمخاطر

• أ.د. صالح صواب ❖

• مقدمة:

أضحى العمل الخيري – عبر المنظمات والجمعيات – وسيلة هامة في العصر الحاضر ، لا يمكن الاستغناء عنه ، إذ لا يمكن للعمل العشوائي أن يحقق ما يحققه العمل المؤسسي من أهداف وأنشطة ، ولا ينبغي ترك المجال للجمعيات المشبوهة التي تسعى بكل ثقلها لإفساد المجتمع ، وإبعاده عن الدين .

وفي الوقت الذي يسعد الإنسان فيه بوجود الجمعيات والمنظمات الخيرية ، وما تقوم به من أعمال خيرية مشكورة إلا أن المتابع يلاحظ فراغاً كبيراً في المجتمع ، إذ لم تقم هذه المؤسسات بدورها المطلوب ، ولم تحقق الحد المطلوب من حاجاتها ، بل إن البون شاسع بين الواقع والطموح في كثير من الجمعيات والمؤسسات الخيرية .

ومن ثم فلا بد من وقفة تأمل للنظر في (مستقبل المنظمات والجمعيات الخيرية) بحيث تحقق هذه النظرة إصلاحاً لها ، ودفعاً بها إلى الأمام ، وتحقيقاً لمكاسب أكثر .

ويمكن النظر إلى مستقبل الجمعيات والمنظمات الخيرية من خلال ما يمكن أن يرتقي بها ، وما ينبني عليه من آمال يمكن أن يكون عائقاً في طريقها ، وكيفية تجاوز هذه العوائق .

وقد أحببت عرض هذه الورقة المتواضعة تفاعلاً مع فعاليات (الملتقى الثقافي الإداري لمنظمات المجتمع المدني)، وتأتي في ثلاثة محاور :

المحور الأول: المنظمات الخيرية وعوامل التوجه نحو مستقبل أفضل:

هناك عوامل كثيرة يمكن من خلالها الارتقاء بالمؤسسات والمنظمات الخيرية لتؤدي دوراً أفضل في المرحلة القادمة ، ويمكن الحديث عنها في النقاط الآتية :

١- الصحوة الإسلامية:

إن مما يثلج الصدور ، ويسر النفوس أن يعود الناس إلى الله سبحانه وتعالى ، ويتوبوا إليه ، وهذا التوجه له أثره البالغ في دعم الناس للجمعيات والمؤسسات الخيرية ، دعماً مادياً ، ومعنوياً ، وعملياً ، فيؤدي ذلك إلى مزيد من الدعم المادي ، ومزيد من الدعم المعنوي ، ومزيد من الكفاءات البشرية التي تشارك في أداء ذلك الواجب .

ولذا فإن على الجمعيات والمنظمات الخيرية أن تعي أن الدعوة إلى الله تعالى ليست أمراً واجباً فقط ، بل عامل مهم جداً ، ومساعد في تحقيق مستقبل أفضل لهذه الجمعيات الخيرية ، وعليها أن تسعى إلى المشاركة في كل باب من أبواب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، وبجميع الوسائل الممكنة والمشروعة .

❖ عضو هيئة التدريس بجامعة صنعاء .

٢- التعاون بين الجمعيات والمؤسسات الخيرية:

مما يحدد مستقبل المنظمات والجمعيات الخيرية مدى التعاون أو الاختلاف بين هذه الجمعيات أو المؤسسات ، فالتعاون مطلب أساس ، وهو مؤشر إيجابي يخدم المصلحة العامة ، ومن خلاله يمكن تطوير عدد من البرامج ، ويمكن أيضاً تحقيق برامج مشتركة قد تعجز عنها هيئة أو جمعية بعينها ، وعلى القائمين على الجمعيات والمؤسسات الخيرية السعي إلى مزيد من التنسيق والتعاون لتحقيق الأهداف المشتركة .

وفي المقابل فإن الاختلاف بين هذه المؤسسات يؤدي إلى عجز في الأداء ، وقصور في القيام بالواجبات ، بل قد يصل الأمر إلى انشغال هذه الجمعيات بعضها ببعض ، وتشويه سمعتها أمام الداعمين ، ومن ثم فيخسر الجميع .

٣- تقاسم الأدوار بين المؤسسات وليس تعارضها:

من حكمة الله تعالى أن جعل وجوه الخير متعددة ، وأبوابه كثيرة ، وهيأ كل إنسان لما يتناسب مع قناعته واهتمامه ، ولذا نجد أنواعاً من الأنشطة المتعددة ، تقوم بها الهيئات والمؤسسات المختلفة ، فهذا يسعى إلى تعليم كتاب الله تعالى ، وآخر يعمل على تعليم السنة النبوية ، وثالث يشتغل بأمر الدعوة إلى الله تعالى ، وآخر يهتم بتأهيل من يقوم بذلك ، وأناس يسعون إلى بناء المساجد ، وآخرون يقومون على رعاية الأيتام والمساكين والأرامل وغيرهم من الضعفاء ... وهكذا .

وقد تتداخل بعض الاختصاصات أحياناً ، وقد تختلف أحياناً أخرى .

ومن المهم جداً أن يفقه القائمون على المؤسسات أن هذه الأعمال كلها مسؤولية المسلمين جميعاً ، ويتحمل ذلك الدعاة إلى الله تعالى ، ومن ثم فكل منهم يقوم بسد ثغرة من الثغرات ، والآخرون يعينون على سد هذه الثغرة أو يسدون ثغرات أخرى ، فكل منهم يقوم بواجب على الأمة .

ومطلوب من الجميع أن يسعى ، وأن يعمل على نجاح الجميع ، كلٌ في مجاله ، مع الاحتفاظ باسمه وطبيعة عمله وتخصصه ، ولا يراد أن يذوب في الآخر ، أو أن ينسحب من الميدان ويتركه للآخرين ، بل العمل على نجاح كل فيما يتعلق به .

٤- النظام المؤسسي:

من المهم جداً في زمن المؤسسات والهيئات ، أن يكون للمنظمات والجمعيات الخيرية نظام مؤسسي ، يعمل من خلاله القائمون على هذه المؤسسات لتطوير أنفسهم ، وتسيير العمل بدقة ، وتحديد اختصاصات كل واحد في هذه المؤسسات .

ولا شك أن ذلك يقوي بناء المؤسسات الخيرية ، ويؤدي إلى توفير كثير من الجهد والوقت ووضوح الرؤية المستقبلية ، ومعالجة القضايا أولاً بأول .

٥- إصلاح الأخطاء وتلافيها:

مما يعين على بقاء المنظمات والجمعيات الخيرية العمل على تحديد الخطأ وإصلاحه ، ومن الأخطاء القاتلة في العمل المؤسسي : الإصرار على الخطأ ، والتعالي عن الخطأ ، وقد قال النبي ﷺ : «كلكم خطّاء ، وخير الخطائين التوابون» .

إن تدارك الأخطاء وتلافيها أولاً بأول ، يجعل من هذه المؤسسات مؤسسات ناجحة ، قادرة على تجاوز السلبيات ، سالمة من النقد المؤثر على سيرها وإنتاجها .

المحور الثاني: المخاطر التي تهدد نجاح المنظمات والجمعيات الخيرية:

ومع السعي إلى نجاح المؤسسات الخيرية في ظل الرؤية السابقة ، إلا أن هناك أموراً تهدد مستقبل هذه الجمعيات ، ولا بد من التنبه لها والعمل على تجاوزها ، ومن أهمها :

١- الصراع بين المنظمات الخيرية:

وهذا مرض خطير ، وسبب من أسباب الفشل ، كما قال سبحانه : ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا**﴾(١) ، وهو دليل على عدم سلامة النفوس ، وعدم الإخلاص لله تعالى ، إذ إن المسلم يفرح أن يجري الله الخير على يديه أو على يدي غيره ، ومن الناس من يقف للحيلولة دون فعل أعمال الخير بصفة غير مباشرة ، وذلك عن طريق الطعن في الآخرين أو الانتقاص من جهودهم أو اتهام نواياهم ، وكل ذلك مرض يغذيه أعداء الدعوة الإسلامية ، ويدعمونه ويشجعونه ، لكنه يتنافى مع أخلاق الإسلام وتوجيهاته ، والكل يعلم النصوص الصريحة الصحيحة الدالة على تحريم الغيبة والنميمة والإساءة إلى المسلمين وسوء الظن بهم .

وهو أيضاً جهل بطبيعة العمل الدعوي ، وأنه تكاملي ، وأن كلاً يقوم بدور في هذه الحياة ، إذ يظن البعض أنه قادر على سد جميع الثغرات .

ولا شك أن للأفكار والتوجيهات الثقافية دوراً كبيراً في تغذية ذلك ، ولذلك فإن على الجماعات الإسلامية ، وعلى الدعاة إلى الله تعالى ، وعلى العلماء أن ينأوا بأنفسهم بعيداً عن الوقوع في هذا الخطأ ، فطعن المرء في الآخرين دليل الفشل ... ولإنكار المنكر

على الجمعيات والمنظمات الخيرية أن تعي أن الدعوة إلى الله تعالى عامل مهم جداً ، ومساعد في تحقيق مستقبل أفضل لهذه الجمعيات الخيرية ، وعليها أن تسعى إلى المشاركة في كل باب من أبواب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، وبجميع الوسائل الممكنة والمشروعة .

أسلوبه وقواعده التي تحدث عنها العلماء .

٢- الاختلاف داخل المؤسسة :

وهذا يؤدي إلى فشل المؤسسة ، ومن أسباب ذلك السعي إلى حظوظ النفس مادياً ومعنوياً ، وهو يتنافى مع الإخلاص لله تعالى ، وربما أدى التساهل فيه إلى انحراف في الهدف .

وعليه فإنه ينبغي وحدة الصف عموماً ، ووحدة الصف داخل المؤسسة الواحدة ، وإذا حصل الاختلاف في المؤسسة الواحدة ، فحري أن يحصل بين المؤسسات المختلفة ، ومن لا يستطيع ضبط نفسه والاتفاق مع من حوله ، فهو مع الآخرين أبعد عن ذلك .

٣- عدم العمل المؤسسي (الفردية) :

ومما يهدد العمل الخيري الفردية في العمل ، وعدم إطْلاع الآخرين على الأهداف والبرامج ، والتصرف من خلال المركزية الشديدة ، فيصبح الاعتماد على شخص واحد في كل شيء ، وعدم وجود آخرين لهم صلاحياتهم المحددة للقيام بالعمل ، ومن ثم لا يستطيع الآخرون القيام بالأعمال الموكلة إليهم .

٤- عدم وضوح الهدف :

حيث تقام بعض المؤسسات تحت لافتات غير دقيقة ، ومن ثم لا تردد في أن تجعل نفسها قادرة على عمل كل شيء ، في شتى المجالات والأنشطة ، وليس هناك ما يمنع من ذلك شريطة أن يكون ذلك كله واضحاً ومعلوماً ، وأن يكون وفق أهداف المؤسسة وبرامجها .

لكن ما يعيب بعض الجمعيات والمنظمات كونها لا تهتم بشيء محدد ، ولا تركز على أهدافها المحددة سلفاً .

٥- التضييق المالي على العمل الخيري :

ومن المخاطر التي تهدد الجمعيات والمنظمات الخيرية ما يتعلق بالجانب المالي ، ذلك أن معظم المؤسسات الخيرية – إن لم تكن كلها – دأبت على العمل على جمع

مما يهدد العمل الخيري الفردية في العمل ، وعدم إطلاع الآخرين على الأهداف والبرامج ، والتصرف من خلال المركزية الشديدة ، فيصبح الاعتماد على شخص واحد في كل شيء ،

ومع الحملة الشنيعة من أعداء الإسلام على الدعوة والدعاة ، والتضييق عليهم فإن بعض أهل الخير قد لا يتجرأ على استمرارية دعمه للمشاريع الخيرية ، ولذلك لابد من العمل على إيجاد روافد مالية ، تحت بنود مختلفة ، حتى تستطيع هذه المؤسسات القيام بدورها في كل الظروف .

٦- التضييق الرسمي (حجب التصاريح) :

وفي إطار الحملات العالمية والإقليمية على الصحوة الإسلامية (لأهداف متعددة) قد تلجأ بعض الدول إلى مضايقة عدد من الجمعيات ، وربما لم تسمح لها بالعمل الخيري العلني ، وحينئذ فإن على المؤسسات الخيرية أن تبحث لنفسها عن صيغة قانونية مشروعة ؛ كي تؤدي واجبها ، وتقوم بدورها .

٧- إيجاد جمعيات الضرار :

قد يصعب على الجهات المختصة التضييق على الأعمال الخيرية ؛ نظراً لدورها البارز في المجتمع ، ولحاجة المجتمع إليها ، وحتى لا يحسب لأهل الخير والإحسان خيرهم وإحسانهم ، فإنهم يلجأون إلى إنشاء مؤسسات خيرية مماثلة ، تقوم بنفس النشاط ، ولكن غالباً ما تفشل هذه المؤسسات في عملها ؛ لأن القائمين عليها – عادة – غير مخلصين في عملهم ؛ وإنما يسعون لمصالح شخصية ، ويصعب عليها أن تتجاوز غيرها من المؤسسات الأخرى .

وعلى المنظمات والجمعيات الخيرية التعامل مع مثل هذه المؤسسات معاملة حسنة ، وعدم الخوف من التأثير عليها ، والاستفادة منها ما أمكن ذلك .

٨- الحرب الإعلامية :

ومن المصاعب التي تواجه الجمعيات والمؤسسات الخيرية ما يكون من حرب إعلامية ضد هذه المؤسسات ، واتهامها بشتى أنواع الاتهامات ، سواء بالإرهاب ، أو بخدمة جهات أجنبية ، أو نحو ذلك . وعلى المؤسسات الخيرية أن تواجه مثل هذا النوع من الإساءة بإثبات العكس ، والقرب من الناس ؛ حتى يعرفوهم عن قرب ، والمعاملة الحسنة مع عامة الناس ، وحينئذ فسوف يقومون بالدفاع عنهم .

المحور الثالث : المعالجات :

إذا أردنا معالجة المخاطر المتوقعة لمستقبل المنظمات والجمعيات الخيرية ، فإننا نحتاج إلى إعادة ما سبق ذكره من المخاطر المتوقعة ، ولذلك فإن خلاصة المعالجات تكمن في البعد عن المخاطر التي أشرنا إليها سابقاً ، فيتم تجنب الصراع بين المؤسسات الخيرية ، ونسعى إلى توحيد الجهود في العمل الخيري ، كما يتم بناء العمل المؤسسي الصحيح القائم على النظام والمنهج ذي الأهداف المحددة .

وأشير في الختام إلى مسألة مهمة لها أثرها في نجاح المنظمات والمؤسسات الخيرية ؛ وهي : التوازن في العلاقات مع السلطة ، إذ الواجب إقامة علاقة متوازنة ، بحيث لا يكون هناك تصادم بين المؤسسة المعنية وبين الجهة المختصة ، ولا يكون هناك استسلام يؤثر على تحقيق الأهداف ، وإنما يتم السعي إلى تحقيق الأهداف ، وتغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة .

وفي الختام ، فهذه رؤية عاجلة مختصرة ، أردت من خلالها الإشارة إلى بعض الأمور ، وهي قابلة للمناقشة والمراجعة ، أسأل الله تعالى أن ينفع بها الجميع .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .